

فارة ابراهيم في الفرد الثالث عشر:

الشيخ شامل

زهيم القوقاز وشيخ المجاهدين

للاستاذ برهان الدين الداغستاني

[تمة]

ولما أبى الشيخ شامل التسليم اقتحم الروسيون الحصن من الخلف ، واستطاعوا التسلل إلى داخله ، فانسحب الشيخ شامل إلى مسجد الحصن وواصل القتال . وهنا طاب الروسيون منه التسليم للمرة الثانية ، ووعده - إن هو سلم نفسه - أن يسلموه هو ومن معه إلى خليفة المسلمين في القسطنطينية من غير أن يعيبيهم أذى .

وكان لهذا المرض الأخير فعل السحر في نفوس المجاهدين من إخوان الشيخ شامل ، فالآن من جانبهم ، فأخذوا يجذون التسليم ، ويلحون على الشيخ شامل أن لا يقوت هذه الفرصة النادرة ، فنزل الشيخ شامل على إرادتهم ، وسلم نفسه مع نحو

يكتب « أنا البارد القليل الأدب؟ »

ولست أدري أكان (صاحبنا) كما ادعى وكيل نيابة حقاً أم أنه يهوش بذلك على الناس ؟

ويأتى بعد ذلك ثالث المواقف أو ثلاثة الأثافي ؟ فنحن في سيارة عامة في أحد شوارع القاهرة ، ليس فيها إلا من هو ذاهب إلى عمل أو حريص على «يماد . وكان في القعد الأمامي شاب كذلك تبدو عليه سماء الهدوء والرزاق فطلب إلى السائق الوقوف بالسيارة لينزل ، فقال السائق « ما فيش محطة هنا » فقال الشاب « محطة إيه ؟ اسمم . نزلني » ولم يسمع السائق ولم يقف ؛ فصكك الشاب على صدره سكة جمع فيها كل تحمه وأفرغ كل غيظه وهو يقول « استنى يا حمار »

ووقف السائق سيارته وافتت نحو الشاب وفي وجهه مثل نظرات الجنون ، فقال له الشاب « إوع تتكلم ... أتدري من أنا ؟ أنا وكيل نيابة ... تعرف شغلك بمدني »

ووقف المحصل بينهما يخشى أن يفضي الأمر إلى شر

عشرين شخصاً من صادق أعوانه إلى القائد الروسي الجنرال « باريا تنسكي » كان ذلك في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٢٧٦ هـ (٦ سبتمبر سنة ١٨٥٩ م) .

وبذلك انتهت هذه الثورة الإصلاحية الوطنية التي استمرت أكثر من ثلاثين سنة ، ونقل الشيخ شامل ومن معه من أعوانه وأهله وعياله إلى « بترسبورغ » - ليننغراد - عاصمة القيصرية المقدسة ، وقابل قيصر الروس إسكندر الثاني ، فرحب به القيصير وأكرم وفادته ، وأمنه وجميع من كانوا معه على نفوسهم . إلا أنه - على الرغم من الوعد الذي أعطى للشيخ شامل قبل أن يسلم نفسه - لم يسمح له بالسفر إلى خارج الحدود الروسية وألزمه بالإقامة في مدينة « كالونا » مدة ، ثم نقله إلى مدينة « كييف » وظل على هذه الحال نحو عشر سنين .

١٠ - كان الشيخ شامل لا يفتأ يطالب قيصر الروس إسكندر الثاني بإنجاز الوعد الذي وعد به قبل أن يسلم نفسه بتسليمه إلى خليفة الإسلام والمسلمين ، ولكنه لما طال به الأمد ، ولم يجد أدناً صاغية . بعث إلى القيصير يطلب منه أن يسمح له بالسفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وبعد أخذ ورد . قبل القيصير أن يأذن لشامل وأصحابه بالسفر إلى الحجاز عن طريق القسطنطينية .

خطير والسائق يقول إفرض انك حتى رئيس نيابة ... تضرب الناس بدون سبب ؟ » والركاب يتفرجون وما فهم إلا من ضاق ذرعاً بهذا الصلف وهذه الوقفة التي لا يدري أحد متى تنتهي ؛ وأحسست أنا ثلاثة أمثال ضيقهم وقد شهدت المنظر ثلاث مرات وكان السائق هو الفاضل هذه الرة ، إذا أنه لم يجد متنفساً لغيظه إلا أن يقسم عينا بالطلاق الأيدع هذا الأفتدى إلا في القسم ولو قطعت رقبته ... ولم يبق محل اشفاة الشافعين ، بعد أن نطق السائق بهذه اليمين . ومضيا ممأ إلى القسم ، ومضينا نحن الركاب يبحث كل منا عن وسيلة أخرى يصل بها إلى حيث يريد

وبعد فانا أوكد لك أيها القارى . أنى لم أزد شيئاً على ما شاهدت ، وإلا فبانى مستعد أنا الواضع اسمى أدناه لأن أتلقى قرار القبض على بتهمة أنا والله منها برى . وهى « إساءة استعمال » قلبى أو على الأصح منظارى ...

الحقيف

وقد زار هذا المتحف ووصفه أحسن وصف سعادة رشاد بك المستشار بالحكم الأهلية المصرية قبل الحرب العالمية الماضية في كتابه « سياحة في روسيا » الذي نشره مقالات متفرقة في « المؤيد » ، ثم جمعا في كتاب .

وبعد الانقلاب الشيوعي في سنة ١٩١٧ م واستتباب الأمر للشيوعيين ، وجهوا نظرهم إلى القوقاز ، وأنشأوا فيه أربع جمهوريات كان أحد هذه الجمهوريات الأربع جمهورية داغستان . وهي جمهورية ذات استقلال ... ذاتي في شؤونها الداخلية ضمن نطاق اتحاد الجمهوريات السوفياتية العام ، وكان من أهم ما عنتت به هذه الجمهورية الناشئة أن أسست متحفاً خاصاً بالشيخ شامل في مدينة « محاج قلعة » جمعت فيه كل آثار هذا المجاهد العظيم ، والبطل الوطني المخلص .

ويرى زائر هذا المتحف الآن أعلاماً بالية عليها كتابات عربية واضحة مثل : « لا إله إلا الله . محمد رسول الله » و « نصر من الله وفتح قريب » وما أشبه هذا مما كان يكتب على أعلام الشيخ شامل . كما يرى الكتب والرسائل التي تبادلها مع الروسيين وهي مكتوبة بالخط العربي واللغة العربية الفصحى .

ويرى إلى جانب ذلك كله قطع الأسلحة ونماذجها المختلفة مما كان يستعمل إبّان الثورة الداغستانية التي حمل رايها الشيخ شامل أكثر من ربع قرن . رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن إليه ، وبل تراه بفيض من رضوانه .

برهانه الربيع الراجح التالي

إدارة البلديات — مياه

تقبل العطاءات بمجلس سوق البلدي
لغاية ظهر يوم ١٠ / ٧ / ١٩٤٧ عن توريد
مواشير ظهر وأبواش حريق وخلافه
وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس
نظير مائة مليم بخلاف أجره البريد .

٧٤٣٥

وفي سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م أي بعد عشرة أعوام من تاريخ التسليم خرج الشيخ شامل من الحدود الروسية ، وجاء القسطنطينية ولقي من السلطان عبد العزيز خان خليفة المسلمين ما هو جدير به من الإعزاز والتكريم ، ثم واصل سفره إلى الحج لأداء فريضة الحج .

وهناك ما يبعث على الظن بأن الشيخ شامل اعرج - في طريقه إلى الحج - على مصر ، وأنه شهد حفلات الخديو إسماعيل التي أقامها بمناسبة افتتاح قناة السويس ، أو شهد بعضها على الأقل ، ولقي من الخديو إسماعيل ترحيباً عظيماً ، وتقديراً كبيراً . وبعد أن وصل إلى الحج وأدى فريضة الحج في أواخر سنة ١٢٨٦ هـ اختار المدينة المنورة للإقامة ، وأخذها موطناً لسكنائه ولم تطل إقامته في مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقد قارق هذه الدار الغانية ، وانتقل إلى جوار ربه ، قبيل غروب شمس يوم الأربعاء ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٢٨٧ هـ (٢٨ مايو سنة ١٨٧٠ م) ودفن في البقيع بجوار قبة العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم .

١١ - مات الشيخ شامل بعد أن عاش نحو خمسة وسبعين عاماً ، وبعد أن ملأ الدنيا دويماً ، ونشر قضية بلاده أمام الرأي العام العالمي ، وجعل العالم كله يتحدث عن القوقاز وقضية القوقازيين ، وإذا كان لم يستطع أن يصل ببلاده إلى ما كان يرجوه لها من الاستقلال والتقدم ورغد الحياة ، فإنه بذل كل ما ملك ، ولم يأل جهداً ، ولم يدخر وسماً حتى انتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً ، ولكن أثر جهاده وتضحياته ظل خالداً ، وأتمر ثمره ، فقد تنبه الروسيون لما يمانيه أهل القوقاز من المصاعب والتعاب وما هم فيه من سوء الحال ، وعلموا أن للقوقازيين وللقوقاز قضية لا بد من النظر إليها بعين الاعتبار .

وقدر الروسيون جهاد شامل وبسالته ، فأنشأوا في « تفليس » عاصمة القوقاز المامة متحفاً عاماً لآثار القوقاز والقوقازيين وأودعوه كل ما عثروا عليه من آثار الشيخ شامل ، كالأسلحة التي كان يحارب بها والأعلام التي كان يحملها جنوده وقواده ، وبعض الوثائق والمستندات التي تبودلت بينه وبين القيادة الروسية في القوقاز . وكان هذا المتحف ، في الجلة ، مشتملاً على كل ما وجد من آثار شامل .